محاضرة بعنوان:

مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح والتاريخ

The concept of citizenship in language ,reform and history

المادة: التاريخ القديم
المرحلة: الأولى

إعداد:

م. د. مجيد جاسم محمد أحمد الشعيبي

أستاذ تاريخ الأديان – رئاسة جامعة الأنبار

كلية التربية للبنات

أولاً : مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح:

ورد لفظ "المواطنة" في المعاجم العربية على أنه – مصدر الفعل "واطن" على وزن (فاعل)، والذي يأتي بمعنى "شارك في المكان إقامةً ومولداً ؛ وهو مصدر رباعي مشتق من فعل "وطنَ على الأمر: أضمر أن يفعله معه" كما يدل على المشاركة والمداومة والاستمرار؛ ومن ملفوظات المواطنة أيضاً "وطن يطن وطناً: أقام فيه، ووطن نفسه على الأمر؛ واستوطن البلد: اتخذها وطناً؛ وتوطنت نفسه على كذا: حملت عليه. و "المَواطِن": جمع مفرده "موطِن"؛ و "المواطن" من يقيم معك في الوطن.

وورد مفهوم "المواطنة" في المعاجم العبرية بلفظ "אֶזְרָחוּת" ، والمقصود به "معرفة حقوق وواجبات المواطن في داخل وطنه"؛ بينما ورد مصطلح "אֶזְרָח" ليشير إلى المواطن الذي يحمل جنسية البلد الذي ولد فيه.

أمّا "المواطنة" في الاصطلاح، فهي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية. وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي بغية تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحّد من أجلها الجهود وتُرسم الخطط وتوضع الموازنات؛ أمّا "الوطنية" فهي تعني "حب الوطن" في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن، وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية.

وتشير دائرة المعارف البريطانية، إلى أن "المواطنة *Citizenship* " هي علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات؛ وكذا أشارت أيضاً الموسوعة الدولية، بأن "المواطنة" هي عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم .

وقد عرّفها أحد الباحثين بقوله: "المواطنة" انتماء إلى تراب تحده حدود جغرافية، فكل من ينتمون إلى ذلك التراب، بغض النظر عن توجهاتهم أو ديانتهم، هم مواطنون يستحقون ما يترتب على المواطنة من الحقوق والواجبات التي تُنظم بينهم؛ فالرابطة بينهم، كما يقول الباحث، رابطة علمانية تخضع لمقياس النفع والضرر، ولا بد من انصهار المواطنين جميعاً بكل أديانهم ومذاهبهم ومللهم وجذورهم العرقية في هذه الرابطة الترابية المشتركة.

وذهب آخر إلى تعريف "المواطنة" ، بأنها تعني الانتماء إلى بلد وإلى شعب يقطن هذا البلد. وهي صلة أو رابطة قانونية بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت، وتحدد هذه العلاقة عادةً حقوق الفرد في الدولة وواجباته تجاهها.

ثانياً : مفهوم المواطنة في التاريخ:

إذا افترضنا أن المواطنة هي مفهوم، فإن هذا الافتراض يستدعي تحولات في فقه اللغة والمصطلحات، كما يستدعي إلى مآلات جديدة في استخدام هذا المفهوم خلال التجربة التاريخية؛ فقد اصبح هذا المفهوم جزءاً لا يتجزأ من ثقافة اجتماعية وسياسية جديدة يُعبر عنها بالحداثة، كما أصبح جزءاً من نظام سياسي يقوم على الدستور ودولة تقوم على السيادة الوطنية، وجزءاً من حقوق وواجبات ينتظم فيها الفرد بموجب عقد اجتماعي يضحى فيه الفرد مواطناً في دولة. وقد تحقق ذلك في التاريخ الغربي الحديث بظهور بعض الحركات مثل "حركة الإصلاح الديني" التي عملت على فصل الداين عن السياسة، فضلاً عن ظهور بعض "الرؤى العقلانية"، التي ساهمت في بلورة نظرة جديدة إلى الإنسان وإلى السياسة؛ ناهيك بالطبع عن ظهور "أدبيات التنوير" و"أفكار الثورة الفرنسية" و "إعلان الاستقلال الأمريكي عام ١٧٧٦م" و "إعلان حقوق الإنسان عام ١٧٨٩م".

وهذا يعني، أن "مفهوم المواطنة" يحيل إلى شرطين أساسيين هما: الدولة، والوطنية؛ وما يتبع ذلك من إقامة مجتمع وطني يقوم على اختيار إرادة العيش المشترك بين أبنائه، والتوازن بين الحقوق والواجبات، وبين الخاص والعام، وبين الخصوصيات والشمول.

إن الغرض من الذهاب إلى التاريخ، إنما هو من قبيل التقاط لحظة التحول في استخدام هذه المفردة(أي المواطنة) في العربية، وإكسابها معنى ودلالات مستعارة من حقل دلالي لمصطلحات التجربة الغربية، التي اتسمت بكونها تجربة ذات طابع ديمقراطي وطني؛ وهذا يعني ان استخدام هذه المفردة في العربية قد حمل دلالات مفهوم الـ " *Citizenship* " الآنف الذكر.

وعلى ما يبدو أن بداية استخدام المعنى الاصطلاحي لـ "مواطن، ومواطنة" في المشرق العربي، كان مع بداية إعلان الدساتير في كل من مصر والعراق وسورية ولبنان، حيث اكتسبت المواطنة المحلية للمقيمين على أرض كانت عثمانية تأسيساً على مبدأ الجنسية المستمد من بنود معاهدة "لوزان" ، التي نظمت أوضاع البلدان العربية الخاضعة آنذاك للحكم العثماني.

هذا ما يتعلق ببدايات استخدام "مفهوم المواطنة" في الفترة الحديثة، ولو أننا عدنا بالتاريخ إلى فتة سابقة على هذه الفترة ألا وهي بدايات التاريخ الإسلامي لوجدنا أن مفهوم المواطنة لم يكن يثير نقاشاً أو جدلاً طيلة الفترة التي عاش فيها المسلمون مع غيرهم. فقد كانت حياتهم مستقرة وقائمة على التعايش السلمي مع الآخرين، لا سيما وأن الاعتبارات الإسلامية في معاملة المسلمين لغيرهم كانت واضحة ومبنية على الالتزام الدقيق بمعاييرها وتطبيق مقتضياتها.

أمّا في وقتنا الحاضر، فقد أصبحت "المواطنة" من أهم المشكلات المثرة للجدل في مجتمعات ودول المشرق العربي، وهو ما يتضح جلياً من خلال إلقاء الضوء على مآلات استخدام هذا المفهوم داخل المجتمع اليهودي في فلسطين المحتلة.